لَنا صَرْخَةٌ ثُمَّ اسكاتة كَما طرقت بنفاس بكره

فهو لم يرد الصوت نفسه ، وإنما أراد حاله في أزمان مقاطع الصرخات ، وسبب إجادته أن علة الصوتين واحدة ، وهي مجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد في الصرخة [١] . والاستعارة كالتشبيه لأنها مبنية عليه ، فلا بدَّ من مناسبة المستعار منه للمستعار له ، فإذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ؛ ولذا عيب على بشّار قوله :

وَجَذَّتْ رِقابَ الوَصْلِ أسْيافُ هَجْرِها
وَقَدَّتْ لِرِجْلِ البَيْنِ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدّي

« فما أهجن رجل البين وأقبح استعارتها ، ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك رقاب الوصل . » [٢]

وقد تتبع الآمدي أبا تمام في أمثال هذه الاستعارات لما فيها من القباحة والهجانة والبعد عن الصواب ؛ لأن العرب استعارت المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله ، أو كان سبباً من أسبابه ، أما أبو تمام فإنه جعل للدهر أخدعاً ، ويداً تقطع من الزند ، وكأنه يصرع ويحل ويشرق بالكرام ويبتسم ، وجعل للمدح يداً ، ولقصائده مزامير إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر ، وجعل المعروف مسلماً تارة ، ومرتدا تارة أخرى ، وجذب ندى الممدوح – بزعمه – جذبة حتى خرَّ صريعاً بين يدي قصائده ، وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف ، وأن له جسداً وكبداً ، وجعل لصروف النوى قدا ، وللأمن فرشاً ، وظن أن الغيث كان دهراً حاكياً ، وجعل للأيام ظهراً يُرْكَب ، والليالي كأنها عوارك ، والزمان كأنه صب عليه ماء ، والفرس

(١) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ص ١١٠ . (٢) ابن رشيق : العمدة ، ج ١ ، ص ١٨١ .